" ومن يرغب " إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم . و " من سفه " في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك : هل جاءك أحد إلا زيد " سفه نفسه " امتهنها واستخف بها . وأصل السفه : الخفة . ومنه زمام سفيه . وقيل : انتصاب النفس على التمييز نحو : غبن رأيه وألم رأسه . ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله : .

ولا بفزارة الشعر الرقابا .

أجب الظهر ليس له سنام .

وقيل معناه : سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم : زيد ظني مقيم أي في ظني . والوجههو الأول . وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث : " الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس " وذلك أنه إذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في إذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة " ولقد اصطفيناه " بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لأن من جمع الكرامة عند ا في الدارين بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه " إذ قال " ظرف لاصطفيناه أي : اخترناه في ذلك الوقت . أو انتصب بإضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله . كأنه قيل : اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله . ومعنى قال له : أسلم أخطر ببالك النظر في الدلائل المؤدية إلى المعرفة والإسلام . و " قال أسلمت " أي فنظر وعرف وقيل : أسلم : أي أذعن وأطع . وروي : أن عبد ا بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فقال لهما : قد علمنا أن ا تعالى قال في التوراة : إني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون . فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت .

" ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن ا اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون " قرئ : وأوصى وهي في مصاحف أهل الحجاز والشام . والضمير في " بها " لقوله : " أسلمت لرب العالمين " على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله : " وجعلها كلمة باقية " الزخرف : 28 ، إلى قوله " إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني " الزخرف : 26 - 27 ، وقوله : كلمة باقية . دليل على أن التأنيث على تأويل الكلمة " ويعقوب " الزخرف : 26 - 27 ، عطف على إبراهيم داخل في حكمه . والمعنى : ووصى بها يعقوب بنيه أيضا . وقرى : ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه . ومعناه ووصى بها إبراهيم بنيه ونافلته

يعقوب " يا بني " على إضمار القول عند البصريين . وعند الكوفيين يتعلق بوصى لأنه في معنى القول . ونحوه قول القائل : .

رجلان من ضبة أخبرانا ... إنا رأينا رجلا عريانا .

بكسر الهمزة : فهو بتقدير القول عندنا . وعندهم يتعلق بفعل الإخبار . وفي قراءة أبي وابن مسعود : أن يا بني " اصطفى لكم الدين " أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام . ووفقكم للأخذ به " فلا تموتن " معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك : لا تصل إلا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته . فإن قلت : فأي نكتة في إدخال حرف النهي عى الصلاة وليس بمنهى عنها ؟ قلت : النكتة فيه إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنه قال : أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة . ألا ترى إلى قوله E : " لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد " فإنه كالتصريح بقولك لجار المسجد : لا تصل إلا في المسجد : وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم . وتقول في الأمر أيضا : مت وأنت شهيد . وليس مرادك الأمر بالموت . ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات ؛ وإنما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته وإظهارا لفضلها على غيرها وأنها حقيقة بأن يحث عليها .

" أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون "